الضياع
في عيني رجل الجبل

قصة

سناء الشعلان

مع نصوص لأدباء آخرين

صدرت عن (منظمة كتاب بلا حدود/ الشرق الأوسط) بدعم من (مجلس الأعمال الوطني العراقي)

صدرت هذه المجموعة عن (منظمة كتاب بلا حدود/الشرق الأوسط)
بدعم من (مجلس الأعمال الوطني العراقي)
وذلك لفوز قصتين منها بالمرتبتين الأولى والثانية ضمن مسابقة
(بلا حدود/٢٠١١-٢٠١٢)

طبعت في مطبعة(فضولي) **FUZULI**

العراق- كركوك **فضولي**
للطباعة والنشر

****

نوع المؤلف: مجموعة قصصية
اسم المؤلف:الضياع في عيني رجل الجبل
اسم المؤلف:د.سناء الشعلان
(مع نصوص لأدباء آخرين)
الطبعة الأولى/ العراق/ كركوك/مطبعة فضولي
رقم الإيداع :(١٢٠٦١٤٠٣)
الإخراج الفني واللغوي
مكتب حروف للفنون والآداب

****

حقوق الطبع محفوظة بموجب القانون

الضّياع في عيني رجل الجبل

د.سناء الشعلان/ الأردن

تحرّضني الكتابة على كتابة الرجال والأحداث،ولكنّك وحدك دون العالمين من يهبني دواراً جميلاً يكتب بأريجه الجبلي حدثاً كونيّاً فلكيّاً ووجوديّاً لقلب ينبض فيّ اسمه أنتَ.

تضجّ أصوات الغابة ونداءات الطّبيعة وغريزة الاشتهاء في قلبي إزاء حادث استثنائيّ،اسمه الاقتراب منكَ،من الممكن أن ألخّص الحالة من باب الاستحياء أو الجبن أو الهروب من سحرك بوصف الإعجاب بك وحسب.

ولكن لأنّني سأحجم من دون شكّ عن إعطائك هذه الرسالة،وبذلك لن تقرأ ما فيها،فدعني إذن أكتب فيها ما أشاء،مادمتَ لن تعرف أبداً بوجود هذه الرسالة على الرّغم من درايتك بالكثير الكثير،ولكن لسوء حظّي وحظّك فإنّك ستجهل وجود هذه الرسالة في الكون،ولن تدري أبداً بأنّ هناك امرأة عاشقة لك جاءت من زمن المستحيل لتلقاك لساعات مسروقة من الزّمن الآثم،فتهبك قلبها دون حول لها ولا قوة،ثم تستسلم طائعة للنّسيان والابتعاد ما دامت لا تملك غير ذلك،ولن تدري كذلك بأنّ هذه المرأة كتبت لك في ليلة رحيلها المشؤوم عنك ما يتمنّى أن يسمعه أيّ رجل من امرأة عاشقة،وما يجب أن تتمتم به امرأة عاشقة حدّ الجنون مثلي لرجلها المُصطفى.

تبدأ الحكاية من ألف صدفة وصدفة وصدفة قادتني إلى قدر مُشتهى اسمه لقاؤك ،حيث جئت إلى مدينة الجبل العنيد أتوقّع أيّ شيء إلاّ أن ألقاك؛فلطالما اعتقدتُ بأنّك فكرة أو حلم؛لأنّك أجمل من أن تكون حقيقة.ولكن عندما طرق صوتك أذنيّ في أوّل لقاء لي بك أدركتُ أنّ الإله أراد في لحظة خلق جديد لأقداري أن ينحاز إليّ لسبب مجهول كي أسعد بك ولو لساعات،وأقبل بعدها بالموت بعد أن أدركت أنّ الأحلام يمكن أن تكون حقيقة.وأدركت أنّ كلّ الظروف التي تحالفت

ضدّي المرة تلو الأخرى من أجل أن تمنعني من المشاركة في المهرجان لأكثر من دورة،ثم عادت بخبث للتكالب عليّ لتمنعني من الحضور حتى في هذه المرة ماهي إلاّ خدع حقيرة من إله الألم كي أُحرم من أن أقابلك،كلّ الظّروف كانت ضدّ أن نلتقي كما كان الزّمن ضدّنا سلفاً،فمنعنا من اللقاء منذ زمن طويل،أمّا الآن فما عاد للأقدار طاقة على حرمانك مني،أو حرماني منك،فقد التقينا،وما كان كان،قد آن زمن العشق،وقد أفل زمن الحرمان والأمنيات المؤجّلة،فاقبلْ نحوي يا مولاي،وأخيراً هزم عشقنا العجيب كلّ أقدار البعاد،فأنا مرسلة إلى الأرض لمهمة واحدة،وهي أن أحبّك،وأنت مخلوق في نظري لمهمة واحدة،وهي أن تعشقني،فليقم كلّ منا بواجب وجوده،ومعنى كينونته،فقد ضاع منا الكثير من العمر سدى.

أتعرف كم قبلة فاتتنا؟أتعرف كم مخاصرة حرمنا منها؟ أتعرف كم مضاجعة لم نقم بها؟ أتعرف كم ليلة ماطرة لم أكن فيها في حضنك؟ أتعرف كم شهوة قتلتها في نفسي في انتظارك؟ أتعرف كم صبوة نذرتها لك؟ أتعرف كم كلمة من المستحيل نحتّ لك؟أتعرف كم بحثت عنك؟ أتعرف كم انتظرتك؟ أتعرف أنّ جسدي ودمائي منذورة لك؟ إذن عليك أن تقبل نذوري متقبّلاً حسناً،و أن تحرقني في معبدك اللذيذ مادمتَ ناراً وإلهاً واحتراقاً،وأنا أشتهي الاحتراق بك يامن انتظرتني،أنا متأكدّة من أنك انتظرتني طوال عمرك.

لا قيمة لسنينك الماضية وتمرّدك وهزائمك وغنائمك وسلطتك ودموعك وخطاياك وآثامك وحسناتك ونسائك وكؤوس خمرتك دون لحظة تمضيها في قلبي هذا المخلوق الأسطوري الهارب من كلّ قصص العشق المستحيلة ليهبك ذاته،وسعادتك القدريّة معي،لا قيمة لكلّ رجولتك ولسيفك الرّجوليّ المثير إن لم أكن غمده الأبدي،لا قيمة لكلماتك إن لم يحسن ثغرك الكرزي المشهّي تقبيلي،لا قيمة لأنوثتي إن لم تسعدك وتفتنك،وتمتصك حتى آخر قطرة من رجولتك التي أراهن عليها بكلّ عمري وجلال افتناني.

صوتك المسروق من مراقص الجنّة أوّل من قبّل حضوري منك،وطبع قبلة

استوائيّة على قلبي الممطر،وارتدّ إليك ليزيّن كمال بهجتك الرجوليّة الباذخة الغارقة في ترنيمة الحياة.

منذ أن وقعت عيناي عليك اشتهيتك كما لا ينبغي لامرأة من زمن الارتحال،وكلانا من زمن لعنته،وخيارات احتراقه.جلستُ أمامك أسمعك لساعات،حفظتُ قسماتك وتنهداتك،داعبت روحك،سكنت كلّ انعطافات صوتك وارتفاعاته وانخفاضاته وأزمانه ومواسمه وجغرافياته.تمنّيتُ حينها أن يختفي العالم كلّه لأستأثر بك دون العالمين ولو لدقائق.دختُ بك،وتمنّيت لو كان في إمكاني أن أحضنك لتكفّ الأرض عن الدوران.

صوتك أوّل من تآمر على ضعفي أمام سحر حضورك،كنتَ تتكلّم حينها على المنصّة،وكنتُ الضيفة المتأخّرة التي جاءت من مكان بعيد قريب لتقف إلى جانب باب القاعة التي تضجّ بالأصوات والحضور،لا أعرف بعدها ما حصل معي،فقد انتحرت ذاكرتي عندها،ونسيت كلّ من معي من أصدقاء ،وهدف وجودي في المكان،وكيف حضرت إليه،وماذا أفعل فيه،ولماذا أنا دون غيري أغرق في وهيج وجهك البهي الذي يمطر المكان بقسمات من نور،وبصوت رجولي مثير يهزّ المكان بترنيمة مزمار إلهي ينذر بموتي وبعثي من جديد.

وها قد متّ فيك وبك ولك منذ أن سمعت صوتك،ووقعت عيناي عليك،فهل يمكن أن تبعثني يا أنت حيّة من جديد بعد أن قُتلت قبل قليل فيك وبك؟ وهل تدري الآن أنّ امرأة جاءت من المستحيل تلبس الأخضر،جالسة مواجهتك تماماً،تفهم كلّ كلمة تقولها بلغتك الكرديّة،وترفض أن يترجم لها أيّ صديق ما تقول على الرّغم من جهلها بلغتك؛لأنّها تفهمك بقلبها الذي أنفق سنينه وانتظاره يرتقّب حضورك على مرفأ الاشتياق،الآن ما عاد اللقاء يكفي لأن يطفئ شوقي،فأيّ شوق يسكن باللّقاء لا يعوّل عليه،وأنا أحترق الآن أمامك يا سيد الكلمات والمواقف والتاريخ الطّويل من التمرّد والعصيان،هل يمكن أن تتمرّد الآن قليلاً على تمرّدك لتبصرني؟ فقد جاء زمن فتحي في قلبك،وأنا لن أعود دون قلبك أبداً أبداً.

كان يكفي أن تنظر في عيني لدقيقة لتعرف أنّنا التقينا منذ ألف

عام في ألف حكاية،لنلتقي الآن في حدث جديد اسمه عشقي لك.

وغادرتُ القاعة بعد انتهاء المحاضرة،وبقيتُ معك،وبقيتَ معي،وظلّ دوارك اللذيذ يصيب روحي بالبلل وكبريائي بالجفاف،وغاب كلّ شيء إلاّ طيفك وفحوى إعلان محبوس يجوس في أعماقي،فيخنق مقاومتي،ولا يختنق.

سألتهم بجهلي الخرافي من تكون؟ فقالوا لي إنّ اسمك سيد الجبل،وعرّفوا بك طويلاً،ولكنّني ما سمعت شيئاً ممّا قالوا،فقد غبتُ في اسمك،وراقصته،وضممته إلى صدري،وحفظته،ثم ابتلعته،وأسميتك كما شاء العشق لي: حبيبي...

الخطوات كانت بيننا معدودة،كان من الممكن أن أقطعها بثوانٍ،لأقول لك: أهواك،هل طال انتظاركُ لي؟ كان من الممكن أن أفعل ذلك،فقد رأيت في عينيك في العميق السّاحر بارقة رؤية لي تنبئني بزهو بأنّ رسالة عينيّ وصلتك بسلام،وحلّت في نفسك برداً وزلالاً،وأنّ روحك تمتدّ أيادياً وأكفّاً وأنامل كي تمسّد على روحي،وتدفعني نحو صدرك الذي ألمح من مكاني العابث بعض شعره الذّكوري المثير الذي يثور على هندامك الجميل الرّزين،ويندفع من طوق قميصك المقلّم المفتوح الزّرار العلويّ.

لكنّني عجزتُ عن أخطو خطوة في اتجاهك،وهرعت إلى الخارج،لأسجّل أوّل هزائمي أمام عينيك،أخذتُ نفساً طويلاً لأبارك هروبي، تفرّستُ في اللوحات الفارسيّة المعروضة في بهو قاعة المهرجان،وأطلتُ النّظر في اللوحات،وفكّرتُ في أن أقبّلها؛إذ أطلّت صورتك الملائكيّة،وصوتك الفردوسي من كلّ واحدة منها،فانتحرت كلّ التفاصيل الأخرى،وذابت كلّ الألوان والوجوه،حاولت عندها أن أتلو اسمك على نفسي؛لأستعيذ به منه،ولكنّني عجزتُ عن أن أتذكّره،فابتسمت غير مبالية بخطيئة نسياني له؛فما جدوى أن أحفظه،وأنت لا تدري بوجودي،ولا تعرف منّي وعنّي غير نظراتي العاجزة اليتيمة التي لا تملك معك ذاكرة سوى ساعات قليلة أمضيتها أسمع عزيف صوتك يعرّيني من صمتي،ويغزو جلدي،ويطبع ألف أمنية على أديمه المسكون منذ قُدّر بك.عندها غرزتك في سويداء قلبي،وناديتك باسم حبيبي،فالتفتْ إلى نجواي السماء والأرض ومابينهما من

خلق سوى البشر.فهل سمعت ندائي لك في تلك اللحظة؟تمنّيتُ أن تكون قد سمعت ندائي،وكدتُ أجزم بأنّك قد فعلت.

لا أعرف كيف يمكن أن ألقاك من جديد في هذا العالم المحموم،كان اللقاء الجماهيري مع الضيوف في ذلك المساء هو أملي الوحيد في أن أراك من جديد،وأصافحك،فأزرع ألف قبلة من روحي في راحة يدك،لعّل هذه القبل تخبرك بأنّك بتّ تجري مني مجرى الدّم في الشريان،كانت فرصتي كي تنظر في عيني،عندها فقط سوف ترى ما لعلّك تبحث عنه طوال عمرك.ولعلّ الفرصة لا تواتيني كي أقترب منك،فأحترق بك من جديد،وأصبح هباء منثوراً دون أن تعلم أنّ رسولة السّماء بالعشق لك قد مرّت بك دون أن تلتفت إليها،فيحرم كلانا من البعث المقدّس في عشق خالد يمكن أن يصبح حقيقة لو حضرتَ إلى لقاء د.برهم صالح أو حضرتَ العشاء الذي يليه في أسوء الاحتمالات.

ليلتها لبستُ ملابس بيضاء،ورششتُ عطراً أبيض،وحملت قلباً أبيض،وعشقاً أبيض،وانتظاراً أحمر لظى،وانتظرتكُ بكلّ أنوثتي ورغبتي وعشقي وخفقان قلبي،وارتعاشات جسدي،ونداءات روحي،لساعات طويلة انتظرتُك،لم أرَ أحداً من الحاضرين الكثر الكثير،ولم أسمع أيّ كلمة،ولم أفرح بمغازلة أو معلومة أو حديث أو تعارف أو عشاء أو موسيقى أو جمع من الأصدقاء والمعجبين،وكتمتُ في نفسي حزناً أبيض يليق بالتفجّع على غيابك،واستسلمت لحقيقة أنّك لم تحضر اللقاء أو العشاء،وزجرت نفسي الملحاحة التي بكت إليّ متوسلة طويلاً أن أسأل عنك،ولكنّني صممتُ أذنيّ دون توسلاتها المحمومة،ولم أسأل عنك،وغضضتُ الطّرف عن ألمي،وأسئلتي المتكرّرة:من أنت؟ وأين أنتَ الآن؟ ولماذا لم تحضر؟ وهل سأراك مرة أخرى،وكيف؟

رسمت ضحكة عملاقة على وجهي،وانتحبت أمنياتي طويلاً بصمت جليل،وسلّمت لفكرة غيابك لطارئ ما مثلاً،ومنعتُ نفسي من شعوري القوي بوجودك في حفل العشاء على الرّغم من أنّني لا أراك أبداً في المكان،وأمّلت نفسي بلقاء قريب،فوقت رحيلي يقترب،وفي النّفس ألف أمنية مؤجّلة،وألف اعتراف مقدّس،

والرسالة الوحيدة التي أحملها في جعبتي للعالمين هي أنّني عاشقة لك،ولتحترق الدّنيا بعد ذلك.

الموسيقى التي يعزفها العازف الوحيد على المنصّة جميلة وحزينة،لا أفهم ما يقول،ولكنّني أشعر بكلّ نغمة،لا أزال أشعر بأنّك هنا معي في العشاء على الرّغم من عدم رؤيتي لك،هل يمكن أن تراقصني على هذه الأنغام؟ لابدّ أنّك تملك أجمل حضن في الدّنيا،يا إلهي كم سأكون أثرى امرأة في التاريخ البشري عندما تأخذني إلى صدرك،عندما يتكسّر ثدياي على صدرك،عندما يتآلف كلّ نافر وبارز من جسدينا،فيسقرّ كلّ منها في تجويف جسد الآخر! كم سيكون فاتناً أن أشمّ رائحة جسدك! كم سيكون ساحراً أن تشمّ رائحة شعر رأسي! سأفتن بلا شكّ عندما تطوّقني يداك،وتمتدّ يداي إلى رأسك،فتغرق أناملي في خصل شعرك الفضّي الذي يسبي قلبي كلّما أبصرته،ويستريح رأسي على يسار صدرك لأسمع وجيب أعماقه،فأرقص على نبض قلبك،وتدفّق رغبتي وشهوتي، يا إلهي عندها سيتوقّف الزّمن دون شكّ ،قد نمضي القادم من عمرنا في هذه الرّقصة،أنا شخصيّاً مستعدّة لأن أقايض عمري كلّه مقابل رقصة واحدة لي في حضنك؛ كم مرّة أستطيع أن أراقص إلهي؟ مرة واحدة فقط في العمر إن حالفني الحظّ،وأنا الآن المرأة القادرة في هذا الكون على أن تسعد قلبك،أتعرف لماذا؟ لأنّ كلّ عشق النساء الماضي والقادم والمفترض والمأمول والممكن والمستحيل قد جمع كلّه في قلبي لك.فهنيئاً لك ياربّ قلبي؛فهو شعب من العشّاق لك اسمه أنا.

ليلتها عدّت إلى الفندق،وجلست طوال الليل في سريري عارية شاردة في دنيا لا أعرفها،متعبة من رقصتنا الطّويلة الجميلة،وبكيت بحرقة،فأخيراً طرق العشق قلبي،كم انتظرتُ هذا العشق،وتغسّلتُ لأجله مليون مرّة بماء الورد ومنقوع الزّعفران وخلاصة زيوت النّماء،ونذرتُ له كلّ نذور الدّنيا ، وتنسّكتُ في محرابه حتى كدتُ أحمل نبأ نبوّة من السّماء،وهاهو الآن يأتي معطّراً بالحرمان،ومدثّراً بجيش من الحرس الذين يقفون بيني وبينك،كيف أقول لك إنّني أهواك؟ وغداً هو اليوم الأخير لي في هذه الأرض،فهل أحمل جنوني،وأحزم غرامي،وأطير نحو

عالمي بأجنحة كسيرة لا تقوى على أن تحمل قلبي الكسير،أو على أن تحلّق بروحي المشدودة نحو أرضك التي بتُّ أعشقها؛لأنّك تسير على ثراها؟أم أصمت للأبد؟ وابتعد عنك دون أن أزفّ إليك أحلى خبر في حياتك؟ إذن لأتلو على نفسي حتى الصّباح ما أعجز عن أن أقوله لك مباشرة: أنا أعشقك.... أعشقك... أعشقك... أعشقك.

أحاول أن أنام،فأخفق في ذلك،لماذا أتمنّى في هذه اللحظة أن يحصل كلّ مستحيل ومرعب ومخيف،فأجدك أمامي هنا في هذه الغرفة،لا أعرف بماذا يمكن أن نسمّي ذلك،لكن هذا ما أتمنّاه،أن أراك تداهم غرفتي،وتقف أمامي مباشرة،ماذا سأفعل حينها؟هل سأسارع إلى أقرب قطعة قماش أستر بها جسدي؟ هل سوف أتخفّى خلف شعري المسدول؟ هل سوف أرتمي في حضنك؟ولتحترق الدّنيا، وماذا ستقول لي؟ بل ماذا سأقول لك؟

أنا أعرف ماذا سأقول لك،سأحكي لك عن سنين انتظاري،سأخبرك عن جسدي المنذور لك،وعن شعري الذي ربّيته طويلاً من أجلك،وقصصي التي تنبّأت بك،وكلّ سير الرجال العاشقين لي الذين رفضتهم في انتظارك،سأخبرك عن سيرة كفاحي،وحكايا أسرتي،وطرائف شخصيتي، سأروي لك كلّ أحلامي بك قبل أن أراك،سأريك تلك الصور التي رسمتها لك قبل أن أصدفك،سأحدّثك عن كلّ هزائمي، سأسمح لك بأنّ تشمّ جلدي وتلمسه،لتذق فيه نكهة الملح وماء الورد والحليب التي أحمّمه بها صباح مساء كي يحافظ على جماله ونقائه ورقته،سأعترف لك بأنّني قادمة إليك بأحزان كثيرة جميعها احترقت بمجرد رؤيتك،سأجعلك تلمس عذريتي،وتشهد على إخلاصي لك حتى قبل أن أراك،فأنا على ميعاد معك،ومن لها ميعاد معك عليها أن تدّخر كل جواهرها وتاريخها من أجلك.

وماذا عنك؟ بماذا ستخبرني حينها؟ أنا لا أريد أن تخبرني بأيّ شيء،غاية فردوسي أن أكون لك،وتكون لي.

كان من المُقرّر لي من قبل الأصدقاء أن لا نذهب إلى الجلسة الصّباحيّة في المهرجان كي نقوم بالكثير من الفعاليات الترويحية والسياحيّة في المنطقة،ولكنّني

اخترعتُ عشرات الحجج والأسباب كي نمرّ على المهرجان ولو قليلاً لعلّي أحظى برؤيتك ولو من بعيد.

وكاد قلبي يطير من صدري عندما رأيتُ حرسك في الخارج،فأدركتُ أنّك موجودٌ في المكان،هان علي في لحظتها أن أقبّل الحرس الواحد تلو الآخر فرحاً بخبر وجودك،وشكراً لهم لوجودهم ب ك في هذا الصّباح الجميل.

استأذن لي الأصدقاء مرافقك كي أراك،شعرت بأنّ انتظاري للإذن طال لعام كامل يقيسه البشر بدقائق .وأخيراً آن لي أن أراك، حملتني الأماني إليك،ماعدت أسمع حتى صوت وجيب قلبي،وشعرت بأنفاسي تتوقّف وجلى إكراماً للاقتراب منك،وأخيراً شاء الله أن أقف بين يديك، صافحتني بحرارة،فنسيت أصابعي وشهقاتي بين أنامل يديك،آن لي أن أستنشق رائحتك،أن أتفرّس في ملامحك،أن أقبّل كل شعرة من شعر رأسك الغزير،قلت لك إنّني سعيدة بلقائك،ومعجبة بأدائك اللغوي المعبّر والجميل بلغتك،ومنعت نفسي من أن أقول لك إنّني أعشقك،هل تعشقني؟هل تؤمن بالحبّ من النّظرة الأولى؟ خذني إلى حضنك.

رأيتني في عينيك،وشعرت بهالة نورك تحتضنني بشهوة غامرة،وطبعتَ قبلة على فمي أنستني كلّ الافتتان،لتخلقه من جديد في ذوباني فيك في هذه اللحظة.

بابتسامة منك،وطيفك يهصرني في حضنك اجتاحتني كلّ أمطار الدّنيا،أمطار عشقي،أمطار دموع فرحتي،أمطار شهوتي التي غزت جسدي الصحراوي الذي لم يعرف يوماً الأمطار،لتثبت له أنّ فيه أجمل واحة،وأغزر مياه متدفقة تنتظرك كي تستحم فيها برجولتك المائية، وتهبها من مائك الخالد الذي أنتظره منذ خلقت.

أقسم أنّك تعشقني كما أعشقكَ، أقسم أنّك في هذه اللحظة عرّيتني كما عرّيتك،أقسم أنّك غارق في شهوتك ومائك كما أنا غارقة غارقة في هذه اللحظة.

دعني أطبع على فمك قبلة حرّى حتى نلتقي هذا اليوم في المساء في مكتبك كما اتفقنا،الحمد لله على أنّني وجدتُ حجة ولو كانت واهية كي أراك،هذه إذن فرصتي الأخيرة كي ألقاك،هل يمكن عندها أن أرتمي على كتفك،وأصمتُ؟فتفهم

كلّ ما تعجز الكلمات عن أن تقوله لكَ .

امرأة الفرح أنا،أتعلم ذلك ياحبيبي؟ أنـــا مخلوقـــة للفـــرح وبالفرح؛أحـــبّ الحياة،أحـــبّ نفسي،أحبّ المباهج،أحبّ السّماء والأرض ومابينهما من بشر وملائكة وشياطين وخلـــق،والآن أنا أعشقك أكثر من كلّ شـــيء أحببتـــه فـــي حياتي،خـــذني وأرضـــي وســـمائي ومبـــاهجي وعشقي،وهبني قلبك المتمرّد الذي ما أتقنت امرأة في هذا الكون أن تداعبه كما يجـــب حتـــى الآن،أنا امرأة فرحك الأزليّة،هبنيك،لأهبك إيّاي،أحبّني كثيراً،لأحبّك أكثر،كن لي سيداً،أكن لـــك جارية،كن لي سماء حامية،أكن لك أرضاً مخلصة،كن لي عالمي،أكن لك أقدارك.

بعيداً عنك أخذني الأصدقاء، صمّموا على أن يطوفوا بي في مدينة الجبـــل وفـــي بحيـــرة النّور،ومادروا أنّني أريد أن أطوف الآن في قلبك وجسدك،ويكفيني أن أسعد بقربـــك علـــى أن أوهب الدنيا ومافيها.

قالوا لي إنّ مدينة الجبل رائعة،وأنّ البحيرة خلاّبة،وأن السّمك لذيـــذ،والجوّ ســـاحر،وهكذا أخبرتك كاذبة عندما سألتني عن انطباعي عن الزّيارة،وقالت لك عيناي وهما ترتجفان أمامك وأنت تعريّ جسدي بجمالك إنّني لم أرَ شيئاً سوى وجهك وأنفاسك ولمسة كفك تطاردني فـــي كلّ مكان.

دعوت الله أن تقصر اللحظات كي تفنى،وتنتهي هذه الجولة الـــسياحية اللعينـــة؛لأعود إلـــى المهرجان، وأراك من جديد،ولكن خذلني الله مرة أخرى،وخـــذلتني اللحظات،وطالـــت بلـــؤم وتجرّؤ على ضعفي وانكساري حتى بتّ أخشى من أن أموت قبل أن ألتقيك،وما كنتُ لأبـــالي بالموت؛فأنا واثقة من أنّ قبلة واحدة من ثغرك الإلهي قادرة على أن تردّني إلى الحيـــاة مـــن جديد.

وأخيررررررررراً عدتُ إلى المهرجان،وكنتَ في انتظاري،أراهن على ذلك،فقد رأيت في عينيك عطشي ذاته،ولهفتي ذاتها،وكطفلة صغيرة مزهوة جلستُ إلى جانبك بعد أن دعوتني إلى ذلك.

وفجأة أصبحت إلهي ،وأصبحتُ ملكة،لها صولجان وتاج وخاتم ملـــك وعبيـــد وجواهر وأرض وســـماء وعدد لا يحصى من النجوم والكواكب السيّارة،ورغبات

متحقّقة لا يملك الرّب إلاّ أن ينزل عندها إكراماً لقلبي الذي يخفق في أضلعي بتمــرّدٍ كــردي عصيّ على الكسر. نعم أدركتُ أنّني عاشقة لك قهر احتمالي وطاقتي وصبري،إذن فلاستسلم لقدري الجميل الذي انتقاه الله لي بسخاء خاص.

ولكن من قال إنّ الإله والملكات لا يتعرّون إكراماً لشبقهم،وتهليلاً بلحظة العشق المــشتهاة؟ هو وهنّ فقط من يدركون أنّ العشق لا يقابل إلاّ بعري أبدي يحمل كــلّ الجــوع والاحتيــاج والحبور،كنت عارية إلى جانبك،وكنت عارياً تماماً إلى جانبي،مسّدت علي،لمستني،مال جسدك نحوي، شممتك على مهل واشتهاء،كنتُ أدرك أنّني في فسحة من أمري،وأنّك تهبني كــلّ مــا أشاء من فرحة بجسدك العاري مثلي.

الجميع يرانا اثنين غريبين عن بعضهما في جلسة رسمية جادة،ولكنك وأنا من يستمتع بهذا اللقاء الأبدي العاري،نتحسّس بعض،نقبّل بعض،نشتمّ بعض،نعيش تجربــة الانــصهار،وحديث الأرواح،والمضاجعة في العالم الآخر،وإعادة التعرّف من جديد بعد غياب في عــوالم كثيــرة وبعيدة،لا بدّ أنّ أحدنا عشق الآخر مئات المرات في مئات الحيوات.

من قال إنّني نتقابل الآن لأوّل مرة في حياتنا؟ إنّما نحن نجتمع من جديد وحسب،فأنا كنــت الجنّية التي ضاجعتك ألف مرةّ سرّاً في الجبال،وأنا كنت الجارية البكر التي أفضضت بكارتها المرة تلو الأخرى في كلّ حياة التقينا فيها.

أنا أعرف رائحتك،جسدك،مذاق قبلتك،ملامح شهوتك،قسمات شبقك،وذقت ألف مرة مــاء ذكورتك،أنا أعرفك... أعرفك...فهل تتذكّرني؟

لقد تذكّرتني،بل لقد عرفتني،ولذلك تميل نحوي، تــسمعني دون الآخرين،تبــسم لــي دون الحاضرين،تلكزني بيدك على سبيل الخطأ المزعوم،تشمّ رائحتي،تحتضن أنــاملي،وتطبع قبلــة على طلاء أظافري،وتنام بين خواتم أصابعي،وتداعب بنظراتك كلّ ملمتر مــن جــسدي،تحفظ حركاتي،تقبّل جلدي،تلعق خلخال قدمي،تبتلع فمي بقبلتك الشهوانيّة،تــسمع صــوت احتراقــي بك،وتسعد بذلك،وأنا أغور في مقعدي عارية إلاّ من الشّهوة إليك،ورجفة في يــدي هــي مــن تفضــــح أمري،أترنّم بأشــــعار لأهــرب من ضعفي،فازداد ضــعفاً،وتبــلغ رجفة يديّ

أشدّها حتى تصرّ خواتمي في يدي،وأردّد من جديد في نفسي قول الشّاعر:

وإنّي لتعروني لذكراكَ هزّة كما انتفض العصفور بلّله القطر

تكاد يدي تندي إذا ما لمستها وينبتُ في أطرافها الورق الخضر

فيا حبّهُ زدني جوىً كلّ ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ

أحتجّ على أنّ لا فرصة لي لقراءة نص ما،فتأمر بحركة إله بأن أُوهب فرصة كي أقرأ،وتحسن إذ تفعل؛فأنت تعلم بحدسك الفطري أنّني أريد أن أقرأ لك دون البشر،أريد أن أقول لك ولو لمرة واحدة: أنا أحبّك،ولو كان ذلك على رأس الأشهاد،وفي جمع غفير من الغافلين عن رقصة العشق الأبديّة التي نرقصها سويّاً في هذا المكان،لابدّ أن روح أسلافك الغابرين من المجوس والوثنيين قد حلّت في نفسي،فألهمتني أن أرقص عارية لنارك المقدّسة،وأنا مستعدّة لهذه الرّقصة،فهل أنت مستعدّ لها؟

نظراتك التي تحرق ظهري وأنا أسير أمامك متجهة نحو المنصّة تقول لي إنّك مستعدٌّ لها تماماً،تلمسني بكلّ جرأة بنظراتك،تتحسّس نزقي وفخري بك،وتداعب صمتي وابتعادي بمجونٍ شبق أعرف طعمه تماماً،لا تسألني كيف رأيت نظراتك من ظهري؟ أنا امرأة شفّافة،وذات ملكات خاصّة بما يتعلّق بك،والرّقصة المقدّسة ستبدأ الآن.

قرأت القصة بتحليق نحو عليائك،كنت سيد الكلمات،وعظيم الحضور،وإله اللحظة،كنتُ أقرأ لك دون الآخرين،وكنتُ من مكاني أتابع نظراتك،فأراها تارة،وتغيب تارة أخرى خلف لامع زجاج عدستي نظارتك،فأعرف من معدن إطارهما المتوهّج اللامع أنّك تحترق هناك مثلي،فأرضى بقدرنا المحتوم.

"أنا أحبّك... نعم أنا أحبّك ياسيد الجبل..."

قلتها أمام الجميع ودون خجل،وردّدتها نفسي منذئذٍ دون انقطاع،ظنّوا أنّها لعبة فنيّة،أو ربما نوعاً ذكياً من المجاملة،أو لعلّهم قدّروا أنّه نفاق رخيص،كلّ ما ظنوا لايهمني،ولكنّني أعرف أنّك وحدك تعرف أنّني كنت أعني ما قلته،ووحدي من سمعك تهمس لي بعزم فارس كردي لم ينم ليلة منذ خُلق:وأنا أحبّك أكثر.

كثير من الحاضرين اجتمعوا حولي يتعرّفون عليّ،وينقلون إليّ إعجابهم،ويأخذون صـــوراً تذكاريّة معي،وغادرتَ المكان،ورائحتكَ الخليط مـــن بـــرد الجبـــال،ورذاذ الأمطـــار،وحريق الاشتهاء،وطلع النّخيل،والعجين الخامر تزكم أنفي،وتعدني بلقاء قريب بعد ساعتين أو أقل،مـــا أسعدني إذن باللقاء القريب المُشتهى!

مرّت لحظات الانتظار أصعب وأطول وطأة على نفسي على الرّغم من كثرة الأصـــدقاء والصحفيين والإعلاميين حـــولي فـــي ردهـــة الفنـــدق،وأزف موعـــد اللقـــاء،وطرت إلـــى موعدنا،يسبقني وجيب قلبي،وشهيق أنفاسي،وانقباضات أحشائي،ووقع خطواتي التـــي تـــسعى إليك قبلي.

ودلفت إلى مكتبك،وصافحتك من جديد،كلانا كان متعباً من هذا الصّهيل البكر فـــي نفـــسينا الجائعتين حدّ التآكل،حرسك ومرافقي يعتقدون جميعاً أنّنا نعيش وقائع لقاء رسمي،أنفاسنا فقط هي من تعرف أنّنا نعيش ملحمة عناق طويل بدون أيادٍ قادرة على التداني أو أحضان قـــادرة على الاشتباك أو أعضاء قادرة على الإفصاح والاشتهاء .

جلست في أقرب نقطة إليك عكس ما يفترض ذوقاً،وهذا أفضل تحفّظٍ قـــدرت عليـــه،فلو طاوعت نفسي لجلستُ في حضنك،ولأغرقت فمي في عطر رقبتك،وبكيت، فأنا امرأة مـــضربة منذ زمن عن البكاء؛فلا أحد يستحق أن يرى دموعي المثقلة بألف قصة حزينة وخيبة،أمّا أنـــت فلك أن تشرب كلّ دموعي،ومن غيرك يملك أن يخلقني من جديد؟!

تريد أن تحضنني؟ تريد أن تضمني طويلاً؟ تريد أن تقبّلني؟ تريد أن تقول لي مالم تقلـــه لامرأة من قبلي؟ لا تنكر،فأنا أرى كلّ ذلك في عينيك،وأنا في أشدّ حالات احتيـــاجي لهبـــات عشقك ولأمنياتك،إذن لماذا لا تطلب من مرافقي الدكتور الخروج؛لتأخذني ولو لمرة واحدة في عمرينا إلى صدرك،لينتحر شكك ويقينك،ولتبعثني من جديد مؤمنة بك دون غيرك؟

أنت تخشاني،وأنا أخشاك،إذن لن يكون نصيبنا من بعض إلاّ النّظرات المختلسة والحـــديث الذي أعني كلّ كلمة فيه،وتتجـــاهل كلّ كلمة فيه،أقـــول لك: تزوّجني،

فترفض لأنّني خلعتك قبل دقائق في قصة حمقاء،أقول لك أحبّ الكرد،فتهديني أغطية رؤوسهم،أقول لك أحبّ كلماتك،فتهديني كتابك،أقول لك أهديك خاتمي لترده إليّ في أوّل زيارة،فترفض أخذه،وتهديه إليّ من جديد،أقول لك إنّه يجب أن أسافر بعيداً عنك ،فتقول لي إنّك ستنزل الطائرة لي إن فاتتني،لا أقول لك من جديد: أهواك،فلا تقل شيئاً.

متى ستأخذني إليك؟ متى سوف تسجنني في داخلك؟ متى ستسكنني؟ متى تكونني؟ متى أكونك؟ عليك أن تبقيني إلى جانبك،فكفر لا يغفره الله لنا إن افترقنا بعد أن التقينا.

لا تبحثْ في هذه اللحظات عن النّكات والضّحك،فقلبي الآن في أكثر موقف جديّ في حياته،وهو في مخاض عشق لا يحتمل فيه أيّ ضحك أو ترويح عن النّفس،فهو الآن في أشدّ حالات احتياجه إلى عنفك وسطوتك،أنا في هذه اللحظة لا أريد خفة دمكّ،وعذوبة روحك،وجمال حديثك،وسحر معشرك،فأنا أعرف أنّك تحمل هذه الصفات وغيرها الكثير الفاتن بامتياز.

أنا أريد في هذه اللحظة أن تكون رجل غابة متوحش بربري،لا تعرف لغة أو منطقاً أو مقدمات،أريد أن تعرّيني دون أن تنبس بكلمة،لتحتلّني إلى الأبد.

ماقيمة الأجساد العاشقة إن لم تكن أرضاً محتلة موسمية تعطي ثمارها وماءها وشمسها واحتراقها في كلّ المواسم،أنا امرأة المواسم،فذقني لتعرف كيف تجتمع في امرأة واحدة بربرية الغابات،وهمجية الكهوف،وتوحش الجنس،وعذوبة الاشتهاء،وأساطير الميلاد الجديد،وحكايا البعث والقرابين،وتعرّ لي،فلا امرأة غيري في الكون تنتظر توّحشك وعرّيك وجموحك مثلي،أنا خلقت بعناية إلهية لأكون امرأتك التي تجمع لك كل النساء في لحظة،أنا امرأة بامتياز،وفنانة بمهارة،وخادمة بالفطرة،وجارية بالسليقة،وعاهرة بالاشتهاء،وقدّيسة بالعفاف،وماجنة بالكلمة،وطاهرة بالجسد،وساديّة بالموهبة،ومؤمنة بالقلب،وكافرة بالشّك،وثائرة بالسّلوك،وداجنة بالعطف،أنا كلّ النساء دفعة واحدة،قبّلني،لتقبّل بفمي كلّ نساء العالمين،فأنا سأرى الله في ثغرك.

أخيراً تقترح حلّ تمديد زيارتي لكردستان،تبدو فكرة رائعة،بل عادلة لقلبينا،ولكنّني لا أستطيع البقاء،أتعرف لماذا؟ لأنّني عاشقة،والعاشقة الحقّ تستجيب دائماً لنفير الرّحيل في نفسها،وتهرب إن لم تكن تملك البقاء الأبدي،إذن ليكن السّفر والبعاد،هل ستحتمل ذلك؟ أنا سأحتمله مادمت صامتاً أيّها الفارس الفضيّ العتيد الذي لا يملك أن يقترب مني لخطوة إضافية فضلاً عن عجزه عن أن يأخذني إليه،ليطبع على ثغري قبلته الحرّى لتطفئه وتطفئني،وربما تشعل كلينا للأبد.

تقدّم العنب إليّ،وتقرّبه مني في طبق دائري الاشتهاء والانتظار مثل عشقي الفنيقي الموروث بالدّموع والحكايا وأنسال الجنيّات ،وقصص الدّماء،وزغاريد الشّهداء.كيف عرفت ياملاكي أنّني أشتهي العنب منذ هبطت في السليمانية؟ وأنّني بحثت عنه اليوم كثيراً في الأسواق؟ ألم أقل لك إنّني متأكّدة من أنّك تسمع كلّ حديث نفسي لك.

آكل العنب الحبّة تلو الأخرى،وأغضّ طرفي بفشل عن مراقبتك باستحياء وأنت تأكل الجوّافة بطريقة مشهّية،أتساءل إن كنت قادراً على أن تقضمني بهذه الطريقة العذبة التي تقضم الجوّافة بها؟إذن لسعد كلانا بذلك،فأنا أكثر نضجاً وحلاوة وماء منها،والتّجربة خير برهان.

ليتني قطتك المدلّلة في هذه اللحظة لألعق أناملك المبتلّة بماء الجوّافة،لأتمسّح بقدميك،وأضع رأسي في حضنك دون رقيب أولائم.

يبرق في خاطري بارق مجنون،أتمنّى أن أغنّي في هذه اللّحظة أغنية لنجاة الصّغيرة اسمها" لا تنتقد خجلي الشّديد"،وأغنّيها في نفسي إليك،فهل سمعتها؟هل سمعتني أشدو لكَ قائلة:

لا تنتقد خجلي الشّديد؛فإنّني بسيطة جداً،وأنت أنت خبير

ياسيد الكلمات،هبني فرصة حتى يذاكر درسَهُ العصفورُ

خذني بكلّ بساطتي وطفولتي،أنا لم أزال أخطو وأنت تطير

من أين تأتي بالفصاحة كلّها؟وأنا يتوه على فمي التّعبير!

أنا في الهوى لاحول لي ولا قوة؛إنّ المحبّ بطبعه مكسور
ياهادئ الأعصاب إنّك ثابتٌ،وأنا على ذاتي أدور أدور
الأرض تحتي دائماً محروقة،والأرض تحتك مخمل وحرير
فرق كبير بيننا يا سيدي؛ فأنا محافظة،وأنت جسور،
وأنا مقيدة وأنت تطير،وأنا مجهولة جداً،وأنت شهير
لا تنتقد خجلي الشّديد.

إذن آن الرّحيل؟ أصافحك،وأقبّل روحك بعمق،وأطعمك إحدى دمعاتي،وأغيب سائلة الله أن تأمرني بالتوقّف وعدم الرّحيل،ولكنّك لا تفعل،فأصمت انتقاماً من صمتك،وأغيب في ظلام المساء.

أعود مبكرة إلى حجرتي في الفندق،أتساءل في غباء طفولي إن كنت تعرف أنّني أنزل في فندق"الجبل" وأنّ رقم غرفتي هو ٤٢٠،أضحك من سذاجتي،وألعن صمتك،وأعزّي نفسي التي تدرك أنّك لن تجيء أبداً،أغتسل،وأتعرّى،وأتعطّر،وأستعدّ للبوح لك كي لا أموت قهراً وغيظاً.

أشرع أكتب لك هذه الرسالة المجنونة التي لن تقرأها أبداً،ولن تعرف أنّ امرأة عاشقة لك كتبتها لك عارية مضمّخة بعطر الشّهوة،ومعمّدة بماء عشقك،ومقتولة من صمتك،ومنتظرة بشوق هديتك التي قيل لك إنّك أمرت لي بها،أتمنّى من كلّ قلبي أن لا تكون نقوداً تشعرني بأنّني أتقاضى إعاشة طارئة من السّلطان،لا هديّة من رجل أعشقه،وأكاد أجزم بأنّه عشقني قهر أنفه.

ليت هديّتك تكون قلادة تشكّ فيها قُبلك،لتطوّق بها رقبتي طوال الوقت،ليتها تكون خاتماً تأسر لي فيه قلبك الماسي،وتهبني إيّاه بكلّ نبل الفرسان الباذلين،ليتها تكون سواراً تجمع فيه كلّ شهقاتنا وتنهداتنا،وتجمعها إلى بعض في معصمي لتتنزّى في وريدي،وتسري في دمائي كما يجري حبّك الآن في داخلي، ليتها تكون قرطاً تعلّق لي فيه اشتهاءك ليل نهار،ليتها لا تكون كلّ ذلك،وتتعاظم لتكون قبلة لي منك مهما كلّفتنا،فكيف أسافر دون أن أحظى بقبلتك،وتحظى بقبلتي؟!!

جاء الصّباح بسرعة على عكس كلّ الأزمان منذ أن قابلتك،وأنا لا أزال أكتب

رسالتي إليك،فهي عاجلة،وإن لن تصلك،أطالع عرّيبي مرّة أخيرة قبل أن أرتدي ملابسي لأتجه إلى المطار،هذا الصّباح لن أستحمّ كعادتي كي لا أغسل يدي اليمنى المحظوظة التي صافحتك البارحة لأربع مرّات،هي الشّاهد الوحيد على رقصة جسدينا المجوسية،هي وحدها من لمست جسدك،هي الوحيدة التي ذاقت دفئك،وأحسّت بنبضك،طوبى لها من يد قبّلت أديمك،سأحمل يدي إلى عمان غير مغسولة،بل مقدّسة بلمسك،أمّا جسدي المسكين فلا يحمل منك أيّ ذكرى سوى سهاده وسهره وأرقه طوال ليلتين.

كيف ستعتذر لجسدي المسلوب؟ عليك أن تسترضيه في يوم ما بمليون قبلة ليغفر لك تجاهلك لاستغاثته منك بك.

واقترب موعد سفري،وأعطانا القدر فرصة أخيرة من أجل التراجع عن صمتنا الآثم،ووصلت متأخرة إلى المطار بسبب الزّحمة ونقاط التفتيش، وكانت فرصتنا الأخيرة لسفري أو للقاء من جديد،فاخترتَ بكلّ نبل أن تساعدني،وتحقّق لي طلبي بالسّفر ولو كان ذلك ضدّ عشقنا،وضد هوانا.

وصدقت أيّها المحلّق في سماء قلبي في وعدك الأسطوري العتيد،وأنزلت الطائرة من أجلي،وأمرت بسفري،وأنا كنتُ أدعو الله بلا انقطاع كي ترّدني إليك،ولكنّك قضيت بسفري،فكيف يردّ قلبي قضاءك؟!إذن لتلهمني الصّبر والسّلوان إن استطعت مادمت قدّرت فابتليت قلبي وقلبك.

وحلّقت الطائرة بعيداً... أنا الآن على ارتفاع ٣ آلاف قدم،وحين أكون على هذا الارتفاع أجدني في أكثر حالاتي صدقاً لاسيما أنّ الغيوم في هذا اليوم في غاية جمالها وهي تستلقي تحت الطائرة باستسلام قطة شاميّة لحضن طفلة بضفائر ذهبيّة.

عندي ألف قصة أحكيها لك،هل تكفي غيمة عملاقة كي أسجّل لك ملحمة مشاعري؟ هل تكفي سماء كي أهرب منك؟هل تكفي أرض كي تبتلعني بعيداً عنك؟ هل يقدر إله على أن ينسيني إيّاك؟ كلّ الأسئلة من هذه الارتفاع تهوي لتسحق في المحال،أنا الآن ملكة بك،وقادرة على كلّ شيء،حتى أنّني قادرة على أن أغفر

في نفسي لضابط مطار السليمانيّة الذي سبّني قبل دقائق،هذه أوّل مرّة أهان فيها،كدت أقــول له: ياهذا كيف تسبّني وأنا أحمل في قلبي سيد الجبل؟ ألا تعرف أنّني حبيبته؟ وهو رجل يكــره أن تهان المرأة التي يحبّ!!

لكنّني اخترت أن أغفر له مجبرة ذليلة في عشقي مادمت امرأة لم تحصل مــن رجلهــا إلاّ على الصّمت،ولاشيء غير الصّمت.

أعود وأكمل كتابة رسالتي إليك،وأكتب فيها آخر كلماتي لك: أعشقك أعشقك أعــشقك . أطويها،وأفكّر في أن أمزّقها،وأن أنثر فتاتها فوق الغيوم،ولكن لانوافذ تفتح ولا أبــواب الآن... أطويها،وأدسّها في حقيبتي،وأغمض عيني لأراك أقرب... فأنا في طريقي إلى بلدي،لأعود ولا أعود...وفي داخلي تصدح فيروز إذا تقول في أغنيتها"أهواك":

أهواك...أهواك بلا أمل
وعيونك تبسم لي
وورودك تغريني بشهيات القبل
أهواك ولي قلب بغرامك يلتهب
تدنيه فيقترب
تقصيه فيغترب
في الظلمة يكتئب
ويهدهده التّعب
فيذوب وينسكب كالدمع من المقل
أهواك ...أهواك بلا أمل
في السّهرة أنتظر،ويطول بي السّهر
فيساءلني القمر،ياحلوة ما الخبر؟
فأجيبه والقلب قد تيّمه الحبّ:يا بدر أنا السّبب؛أحببت بلا أمل!!!

يا إلهي كم أنا ضائعة الآن ياسيد الجبل.....